

لمحة تاريخية عن نشأة الإذاعة في العالم و في الجزائر

أ. عيسى بن هاشم

تطور الخبر بين القديم و الحديث تطورا ملحوظا، حيث كان ناقل الخبر في العصور القديمة هو الراوي أو الرسول أو المنادي أو المنشد أو الشاعر، و كانت بذلك وسائل الاتصال بطيئة و بدائية.

لم تكن رحلة الخبر من مصدره إلى مستقبله سهلة يسيرة بل كانت شاقة تتم على ظهر الخيول أو بواسطة السفن أو الحمام الزاجل و كانت الجماهير تستقبلها بشوق وحماس، و هكذا ظلت طرق جمع الأخبار و تداولها في العصور القديمة بطيئة و بدائية إلى أن اخترع فاب موريس Fab Moris التلغراف الذي ساعد على تطور و تبادل الخبر و سهل من عملية التواصل بين الملقي و المتلقي للخبر¹، إلا أن تلك الخدمات التلغرافية لم تكن في صورتها الأولى على قدر من الفعالية و الكفاءة إلى أن جاء القرن التاسع عشر حيث ظهرت وكالة الأنباء التي تعتبر نقطة التحول في رحلة الخبر بدء من مرحلة الكلام إلى مرحلة الكتابة فمرحلة اختراع الطباعة التي أصبحت فيها الكتابة ذات أثر فعال لتتسع وظيفتها عام 1436م حينما تم إختراع المطبعة على يد جوتنبرغ Guetenberg في ألمانيا².

ثم جاءت بعد ذلك مرحلة العالمية التي استطاعت فيها البشرية نقل الأشياء بصورة علمية بواسطة الاختراعات الحديثة من كهرباء و وسائل المواصلات.

و أخيرا حلت مرحلة الإذاعة و هي المرحلة التي بواسطتها تم " نقل المشاعر والأفكار عبر الحدود و الحواجز الجغرافية إلى غاية سنة 1980م حيث بدأ يخفق قلب الحاسوب الصغير و الفاكس "3.

و هكذا أصبح إعلام الناس لا يحتاج إلى ذلك الاتصال الجسدي و صار العالم يفضل التواصل عبر الإنجازات العلمية المذهلة في ميدان الإتصالات السلكية و اللاسلكية و الأقمار الصناعية.

شهد عام 1844م بداية أول إرسال لرسالة كهرومغناطيسية عبر الأسلاك على يد "صامويل موريس Samuel Moris" أما أول إرسال صوتي فقد جاء باستخدام الموجات في التيار الكهربائي عام 1879م و ذلك لتنشيط عملية الإتصال الصوتي عبر الأسلاك، و في سنة 1887م إستطاع "هنريش هيرتز Heinrich hertz" أن يتحقق من أن التيار الكهربائي المتغير يحدث موجات يمكن نقلها عبر الفضاء دون استخدام أسلاك و بسرعة الضوء⁴.

و عرف الراديو أو الإذاعة المسموعة كغيره من الإنجازات التي حققها الفكر الإنساني عدة محطات في مسيرة ابتكاره حيث أثار زوبعة كبيرة في تاريخ الإتصال بين القارات، إذ يعود اختراع الراديو إلى مجموعة متلاحقة من المحاولات و التجارب، لكن الفضل الأول يعود إلى الفيزيائي العالمي "ماركوني جوليليو Marconi Guolilio" الذي استخدم هذه الوسيلة اللاسلكية عام 1896م بواسطة موجات مركزية⁵.

و تشير مصادر أخرى أن الإذاعة ظهرت عام 1860م عندما تنبأ عالم الفيزياء الاسكتلندي "جيمس ماكسويل Jaimes Macswell" بوجود موجات كهرومغناطيسية، بينما تؤكد أن العالم الألماني هنريش هيرتز "Heinrich hertz" هو من أثبت صحة نظرية سابقه، لكن ذلك كان عام 1886م، و من نتائج و أبحاث هيرتز استطاع المخترع الإيطالي "ماركاتي" إرسال أول إشارات إذاعية في إيطاليا عام 1885م، واستطاع عام 1899م الاستماع إلى إشارة لاسلكية عبر القناة الإنجليزية ، وفي عام 1900م توصل "ماركوني" إلى استماع إشارة لاسلكية عبر الأطلنطي من إنجلترا إلى نيويورك و لاند في الو.م.أ⁶.

ثم عني بتطوير هذه الوسيلة الباحث "فيسندن Fessenden" الذي بث لأول مرة عام 1906م الصوت الإنساني عبر الإذاعة بالإضافة إلى القطع الموسيقية، ثم تلاه الباحث "فوست Foste" باستخدام برج إيפל في باريس للإرسال الإذاعي عام 1908م.

كان هذا الاختراع بمثابة نقطة الانطلاق لاستعمال هذه الإشارات في الاتصال بين السفن والمحطات الواقعة على الشواطئ، وهكذا بدأ الاتصال وخدمة الأخبار التلغرافية بين أوروبا وأمريكا عام 1910م، ثم جاء قانون الراديو الصادر عام 1912م الذي ينص على ضرورة حمل ترخيص من وزير التجارة للقيام بتشغيل الراديو، وفي عام 1921م منحت لجنة الاتصالات الفدرالية "FCC" رخصة لتشغيل أول محطة إذاعية تجارية تسمى "WBZ" في سبرنج فيلدا ساشوستيس مع الإشارة إلى أنه كانت تتواجد محطتان قبل إعطاء هذا الترخيص، المحطة الأولى "KDKA" في بتسبيرج والمحطة الثانية "WWJ" في ديترويت وكانتا تديعان نتائج انتخابات الرئاسة بالو.م.أ، وبعد ذلك أصبح عدد محطات الإذاعة يقارب 500 محطة، بينما وصل عدد الأجهزة إلى ثلاثة ملايين جهاز.

إن العامل الأساسي الذي ساعد الإذاعة على تحقيق رسالتها كان عامل الترفيه في حين جاءت المواد الإخبارية في المرتبة الثانية، وهكذا بدأ الصراع بين الإذاعة والصحيفة كوسيلة اتصال جماهيرية خاصة عندما كسبت الإذاعة الكثير من الإعلانات بينما تراجعت أسهم الصحف.

عرفت الإذاعة في الثلاثينات فترتها الذهبية، حيث اعتمد عليها التجار وأصحاب السلع للترويج لبضائعهم، إلا أنها تعرضت بعد ذلك لمعارضة شرسة من طرف أصحاب الصحف المحلية ووكالات الأنباء لمنعهم من بيع الأخبار إلى محطات الإذاعة، لكن هذا الضغط لم يدم طويلا حيث شرعت عام 1945 الصحافة المتحدة "UP" التابعة لعائلة سكر بيس و وكالة خدمة الأخبار الدولية التابعة لعائلة هيرست في عرض خدماتها للإذاعة ثم في عام 1949 بدأت الوكالات العالمية للصحافة المرتبطة "AP" تمد الإذاعات بالأخبار.

الإذاعة في أوروبا و في الدول الاشتراكية:

تطورت الإذاعة في أوروبا بشكل بطيء إلى أن ظهرت محطات الإرسال والبرامج المنتظمة سنة 1921 في تسع عشرة بلدة أوروبية، حيث صنعت أجهزة الإرسال الأولى بلندن ومانشستر و كانت توجد 22 محطة إذاعية إلا أنها كانت تتلقى الصعوبات مع الصحافة المعادية.

كانت الإذاعة قبل سنة 1930 قليلة الاستعمال خارج أوروبا وأمريكا الشمالية نظرا لندرة محطات الإرسال التي كانت من صنع الدول الاستعمارية وتثير فقط اهتمام المعمرين وحكام المستعمرات.

أما الإذاعة فقد اعتبرت في الدول الاشتراكية وسيلة ممتازة للدعاية ترتبط بالحزب الشيوعي و وسيلة البث الأكثر انتشارا في الاتحاد السوفياتي وقد ساهمت كثيرا في نشر تعليمات المخططات الخماسية، إذ إلتزمت في إطار المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي بالمساهمة في تنمية الإنتاج الزراعي إلا أن نصف البرامج الباقية كان مخصصا للموسيقى.

وقد استمرت الإذاعة كوسيلة للسياسة الخارجية السوفياتية، إذ كانت إذاعة موسكو تبث 334 ساعة أسبوعيا بإحدى وثلاثين لغة أجنبية وتضاعفت النشرات اتجاه يوغسلافيا بعد الانشقاق الطارئ مع تيتو بعدما كانت تستغرق تسع ساعات أسبوعيا، فكان الإرسال السوفياتي يستغرق 996 ساعة أسبوعيا منها 144 موجهة لأوروبا و 108 لأمريكا الشمالية و 264 للشرق الأوسط وجنوب آسيا و 42 موجهة لإفريقيا،

كما كانت هناك نشرات أخرى في خدمة الدعاية الشيوعية تصدرها الديمقراطيات الشعبية كما هو الشأن بالنسبة لإذاعة "بودابست" التي كانت ترسل يوميا مدة ست ساعات بتسع لغات أجنبية¹².

نشأة الإذاعة في الجزائر

تزامن ظهور الإذاعة في الجزائر مع ظهورها في فرنسا "و هذا في العشرينيات من القرن العشرين، حيث كانت تابعة للحكومة الفرنسية بإشراف من وزارة البريد حتى سنة 1945م، و بعد ذلك أصبح الإشراف السياسي موزعا بين الحاكم العام للجزائر و الحكومة المؤقتة الفرنسية، و أسندت مراقبة الحصص الموجهة للفرنسيين و الأوربيين إلى الحكومة المؤقتة الفرنسية"¹³.

و " في سنة 1945م تم إدماج الإذاعة الجزائرية بالإذاعة الفرنسية التي كان يشرف عليها رئيس الحكومة و إدارة مستقلة بشؤون التسيير و الشؤون الفنية، لكن أعطيت بعض الامتيازات الخاصة للحاكم العام، الذي أصبح يترأس مجلسا يدعى **باللجنة الجزائرية للإذاعة**"¹⁴

لم يكن للإذاعة الجزائرية رواجا كبيرا إلا بحلول سنة 1943م بعدما أصبحت تبث برامجها باللغة العربية، حيث كانت من قبل تبث باللغة الفرنسية و كان يسمعا في تلك الفترة عدد قليل من الفرنسيين و الجزائريين الذين يفهمون اللغة الفرنسية¹⁵.

و في سنة 1948م، أنشأت السلطات الفرنسية قناة ناطقة بالأمازيغية و جهزت لها أستديوهات خاصة، كما أنشأت قنوات أخرى في مختلف المدن الجزائرية مثل قسنطينة و وهران و أدخلت تقنيات جديدة على محطات الإرسال حتى أصبحت الإذاعة تبث على الموجة القصيرة والمتوسطة.¹⁶

و نظرا لتلك الإنجازات، تضاعف عدد المستمعين حيث وصل سنة 1956م إلى 358 ألف مستمع من بينهم 158 ألف مسلم و 200 ألف غير مسلم، في حين لم يقدر سنة 1948م إلا بحوالي 155 ألف مستمع¹⁷.

و قد عرفت الإذاعة الجزائرية تطورات ملموسة في الفترات اللاحقة نوجزها في مرحلتين أساسيتين:

أ- قبل الإستقلال :

لقد أدرجت وسائل الإعلام ضمن الثورة الجزائرية كوسائل جديدة للكفاح وتمثلت أول وسيلة إعلامية استخدمتها جبهة التحرير الوطني في "المناشير" التي كانت تعلن من خلالها كل قراراتها، وبعدها لجأت إلى "الجرائد" لتقوي عزمها على الاستقلال حيث أنشأت عدة صحف باللغتين العربية و الفرنسية، الأولى بفرنسا والثانية بتطوان بالمغرب والثالثة بتونس وكلها كانت تحمل اسم المقاومة الجزائرية¹⁸، أما الجريدة الرابعة فكانت تصدر في الجزائر باسم، بالإضافة إلى وسائل إعلام أخرى كالسينما.

إن تلك الوسائل الإعلامية لم تلعب دورها الكامل خاصة منها الوسائل المكتوبة التي وقف في وجهها حاجز الأمية المتفشية في المجتمع، مما زاد تعطش الشعب لمعرفة أخبار الثورة فتوجهوا إلى الإذاعة الخارجية كالقاهرة وسورية.

و هكذا ظهرت "إذاعة صوت الجزائر" السرية بتاريخ 16 ديسمبر 1956م، حيث كانت عبارة عن شاحنة من نوع (GMC) أخرجت من القاعدة الأمريكية بالقنيطرة بالمغرب، و كانت تبث برامجها متنقلة في منطقة الريف المغربية باللغة العربية الفصحى والفرنسية والقبائلية والعامية على الموجات القصار ساعتين في اليوم¹⁹.

خلال سنتي 1957-1958 توقفت هذه الإذاعة لمدة أشهر نتيجة أسباب تقنية، وبعد اقتناء أجهزة أعيد تنصيبها بالقرب من مدينة الناظور بالمغرب بعد الإتفاق مع المسؤولين المغاربة و أصبحت تذيع ببث قوي على ثلاث موجبات في ثلاث فترات يوميا.

كانت إذاعة صوت الجزائر السرية وسيلة للدعاية المضادة قصد تكذيب الإدعاءات التي تثيرها الإذاعة الرسمية الفرنسية، كما كانت وسيلة إخبارية تعمل على إعطاء أخبار صحيحة حول الوضع العسكري ونتائج المعارك، و لم يقتصر دورها داخل الوطن فحسب بل إمتد إلى الخارج للتعريف بالقضية الجزائرية وكسب ثقة الرأي العام العالمي و كان ذلك من خلال إذاعات بعض الدول الشقيقة وهي:

- **إذاعة صوت العرب بالقاهرة:** التي خصصت ثلاث برامج أسبوعية لخدمة أخبار الثورة الجزائرية سنة 1955.

- **الإذاعة التونسية:** حيث خصصت منذ سنة 1956 برنامج عرف بعنوان: "هنا صوت الجزائر المجاهدة الشقيقة".

أما بعد الاستقلال فقد بذلت السلطة الجزائرية جهودا كبيرة لتقوية الإذاعة وقد تمركزت هذه الجهود في ثلاثة ميادين:

1- الزيادة في المتعة التي تقدمها الحكومة للإذاعة.

2- توسيع شبة الإرسال وتقويتها.

3- توفير أجهزة الاستقبال²⁰.

ب- بعد الإستقلال 1962:

بدأت شبكة الراديو تسمع في المدن الكبرى و المتوسطة، كما بدأت الوضعية القانونية لهذه الوسيلة الإعلامية تتلاءم مع النظام الاشتراكي الجديد من خلال إحتكار الدولة لها و مراقبتها، و زيادة على هذا كان لابد من توجيه السياسة الجزائرية في ميدان الإعلام²¹، حيث بذلت سنة 1966م مجهودات كبيرة لتقوية الإذاعة تمحورت في ثلاث ميادين:

■ المنحة الحكومية:

تمثلت في "الميزانية المخصصة للثقافة و الإعلام، مع العلم أنها كانت ضعيفة جدا بعد الإستقلال لكن تحسنت تدريجيا خاصة منذ حلول سنة 1966م.

و في سنة 1974م إزدادت إعانة الحكومة للراديو و التلفزيون ب 70% من مجموع الإعانات الحكومية، ثم وصلت سنة 1978 إلى 79% و تعبر هذه النسبة عن مبلغ يقدر ب 159 مليون دينار، و هو مبلغ ضخم مقارنة بالإعانات المخصصة للصحافة المكتوبة، و كان هذا الإرتفاع مرتبطا بإجراءات اتخذتها الحكومة الجزائرية سنة 1968م و تم دفعها مباشرة إلى شركتي الكهرباء و الغاز لتبقى الإعانة الحكومية المورد الوحيد لمؤسسة الراديو و التلفزيون²².

■ توسيع شبكة الإرسال:

أنشأت الجزائر سنة 1966م محطتين جديدتين للإرسال، الأولى بعين البيضاء قرب قسنطينة و الثانية قرب وهران، و كانتا تذيعان على الموجة المتوسطة بقوة 300 كيلو هرتز، و ارتفعت هذه القوة إلى 600 كيلو هرتز سنة 1968م حيث أصبح الراديو يسمع في جميع مناطق شمال البلاد²³.

و في سنة 1970م تم إنشاء محطتين، الأولى على الموجة الطويلة و قوتها 100 كيلو هرتز و الثانية على الموجة القصيرة تتفاوت قوتها ما بين 5 إلى 100 كيلو هرتز حيث تطورت شبكات الإرسال لتقوم بتغطية جميع التراب الوطني.

و في سنة 1978م، غطت الإذاعة الجزائرية 98% من التراب الجزائري نهارا و 100% ليلا و أصبحت تسمع حتى من طرف المهاجرين و هي تشتغل 24/24 ساعة و تذاع على القنوات الثلاثة: الأولى باللغة العربية، الثانية باللغة القبائلية والثالثة باللغة الأجنبية.24

■ توفير أجهزة الإستقبال:

لقد وفرت السلطات عددا كبيرا من أجهزة الراديو خصوصا نوع ترانزيستور ابتداء من سنة 1962م، و ارتفع هذا العدد حتى وصل سنة 1972م إلى ثلاثة ملايين، و في سنة 1982م و صل إلى خمسة ملايين، أي بمعدل جهاز واحد لأربعة أشخاص أو جهازين لكل مسكن تسكنه عائلة واحدة.25

و لهذا كان على الجزائر أن تغير النظام القديم إلى النظام الجديد ليتماشى التطور الإعلامي مع إختياراتها التي تتبنى سياسة جديدة و هو ما تبرزه المواثيق والمراسيم التالية:

1- "مرسوم أوت 1963"26 الخاص بتنظيم الإذاعة و التلفزة الجزائرية، و هي مؤسسة عمومية تابعة للدولة – حسب المادة الأولى من قانون الإعلام – ذات طابع تجاري و صناعي منحت لها كل الصلاحيات و احتكرت النشر الراديوفوني و المتلفز.

المادة الأولى: "الإعلام قطاع من قطاعات السيادة الوطنية..."27.

2- "ميثاق الجزائر 1964"28: أكد أن من بين أهداف الإعلام هو محاربة الإيديولوجيات السابقة.

3- "الميثاق الوطني لعام 1976"29: يجب على الوسائل الإعلامية بجميع أنواعها أن تعمل على نشر ثقافة رفيعة و ثرية تستجيب للحاجات الإيديولوجية والجمالية – حسب المادة الثالثة من قانون الإعلام–.

المادة الثالثة: "يمارس حق الإعلام بكل حرية، ضمن نطاق الإختيارات الإيديولوجية للبلاد و القيم الأخلاقية للأمة و توجيهات القيادة السياسية المنبثقة من الميثاق الوطني، مع مراعاة الأحكام التي يتضمنها الدستور"30.

بعد انعقاد مؤتمر الإذاعات الإفريقية بالجزائر العاصمة سنة 1969، اتخذت الجزائر موقفا نحو مؤسساتها الإعلامية و جعلتها وسيلة أساسية لتربية أفراد المجتمع و تكوينهم للخروج من التخلف الاجتماعي و الثقافي و الاقتصادي – حسب المادة الثامنة من قانون الإعلام–.

تجدر الإشارة في الأخير إلى أن الإذاعة الجزائرية تدخل في إطار الإذاعات الوطنية الرسمية التي تقوم بدورها على نوعين:

1. النوع الأول تكون فيه الإذاعة تابعة بصورة مباشرة لمجلس الوزراء أو إحدى الوزارات كوزارة الإعلام و تخضع لجميع القوانين المالية والإدارية.

2. النوع الثاني، هو نظام عملت به العديد من الدول الأوروبية خاصة بعد الحرب العالمية الثانية، إذ تعتبر الإذاعات العاملة بهذا النظام من بين أجهزة الإعلام الرسمية لتلك الدولة، كونه نظام يخضع الإذاعة لرقابة الدولة من الجوانب السياسية، التوجيهية و الإخبارية، و هي تسعى لخدمة المصلحة الوطنية و تنوير الرأي العام31، كما تهتم بفئة المثقفين من خلال بث المواضيع الفكرية و الدينية.32

المراجع:

- 1-جون بيتنر، الإتصال الجماهيري – ترجمة : د. عمر الخطيب، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، الطبعة الأولى، سنة 1982.
- 2-المرجع السابق.
- 3-المرجع السابق.
- 4-أحمد الطاهر، الإذاعة و السياسة الدولية – المكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة – سنة 1991.
- 5-جون بيتنر، مرجع سبق ذكره.
- 6-شدوان على شبيبة، مذكرة في تاريخ الإعلام، دار المعارف الجامعية، 2005.
- 7-جون بيتنر، مرجع سبق ذكره.
- 8-هاني الرضا و رامز عامر، الرأي العام و الإعلام و الدعاية – المؤسسة الجامعية للنشر، لبنان – الطبعة الأولى، سنة 1990.
- 9-جون بيتنر، مرجع سبق ذكره.
- 10-شدوان على شبيبة، مرجع سبق ذكره.
- 11-زهير أحداتن، تاريخ الإذاعة و التلفزة، ديوان المطبوعات الجامعة، الجزائر، د،ت، 1984.
- 12-المرجع نفسه.
- 13-محمد قروش – تاريخ الإذاعة الجزائرية و التلفزيون – ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر – سنة 1984.
- 14-إسماعيل معراف قالية، الإعلام حقائق و أبعاد- ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، سنة 1999.
- 15-المرجع السابق.
- 16-المرجع السابق.
- 17-محمد قروش – مرجع سبق ذكره.
- 18-نصيرة مزهو، الإذاعة الجزائرية و المجتمع "دراسة ميدانية للجمهور العاصمي المتلقي الأول للقناة الأولى" رسالة ماجستير معهد الإعلام و الإتصال جامعة الجزائر، 1998.
- 19-المرجع السابق.
- 20-المرجع السابق.
- 21-محمد قروش – مرجع سبق ذكره.
- 22-محمد قروش – مرجع سبق ذكره.
- 23-محمد قروش – مرجع سبق ذكره.
- 24-محمد قروش – مرجع سبق ذكره.
- 25-محمد قروش – مرجع سبق ذكره.
- 26-الجريدة الرسمية المؤرخة في 17 نوفمبر 1967.
- 27-الشعب، قانون الإعلام – ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر – سنة 1982.
- 28-ميثاق الجزائر، الفصل الأول- الفترة الثالثة من أجل تطور الفكر الاشتراكي.
- 29-الميثاق الوطني، الباب الثالث – المحاور الكبرى بناء الاشتراكية.
- 30-الشعب، قانون الإعلام - مرجع سبق ذكره.
- 31-الرأي العام: يقول جيمس برايس في كتابه: الديمقراطية الحديثة ، هو : إصطلاح يستعمل للتعبير عن مجموع الآراء.
- 32-جون بيتنر، مرجع سبق ذكره.